



18 أكتوبر 2019
كتب: د. محمد عمارة

الاستبداد عدو الإنسانية، والشورى فريضة إسلامية، فرضها الله وأوجبها في إدارة الدولة، حتى عندما كان المعصوم صلى الله عليه وسلم هو قائد الدولة "فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين" (آل عمران 159).

حق لجمهور الأمة

وهي صفة من صفات المؤمنين في كل ميادين الحياة الفردية والاجتماعية "وما عند الله هو خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون، والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون، والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون" (الشورى 36 - 39).

وهي - الشورى - آلية اتخاذ القرار في الأسرة - اللبنة الأولى للأمة - "والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف، لا تكلف نفس إلا وسعها، لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك، فإن أرادوا فصلا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما، وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف، واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير" (البقرة 233).

وهذه الشورى هي حق لجمهور الأمة، تأثم جميعا بتركه، وليست امتيازاً لطبقة أو نخبة، وهي عامة في كل ميادين الحياة، كما أنها ملزمة، وليست مجرد "محمدة اختيارية" كما يذهب إلى ذلك صنائع المستبدين!

من أصول الحكم

ولقد تحدث شيخ الأزهر الأسبق الإمام الأكبر محمود شلتوت عن هذه المعاني لفريضة الشورى فقال: "وتقرير القرآن لمبدأ الشورى، قضى الإسلام على عدو الإنسانية الفاضلة ومفسدها، وهو الاستبداد بالحكم والرأي، واحتكار التشريع والتصريف والإدارة، وحقق للفرد كرامته الفكرية، وللجماعة حقها الطبيعي في تدبير شؤونها، والقرآن لا يريد من "الشورى" حين يضعها بين عنصري الصلاة والإنفاق في سبيل الله "والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون" لا يريد هذه الصورة الهزلية التي ألفناها في الماضي، وتواضع أرباب البغي والاحتكار عليها، واتخاذها ستارا يخفون به طغيانهم النفسي في إرادة سلب الحقوق، وإنما يريد بها حقيقة نقية في واقعها، كما يريد من الصلاة والإنفاق حقيقتيها المحققة لأثرهما الخالصة مما يكدر صفوهما.

شورى التي يلبس المنافقون في جوحها مسوح الصدق والإخلاص، ويكتمون عن الحاكم المخلص بذور الشر والفساد، لا قيمة لها عند الله والإسلام لا يمكن أن يهمل من أصول الحكم ذلك المبدأ الطبيعي في الحياة، وهو الشورى، كما لا يمكن أن يريد حين يضعه "محمدة اختيارية" يقصد بها مجرد تأليف القلوب، وتطبيب النفوس، دون العمل به، كما يذهب إلى ذلك صنائع الملوك المستبدين، ولا أن يريد "صورة مفتعلة" يبرر بها أرباب الطغيان طغيانهم، وإنما يريد أمراً ثابتاً مقررًا، مأمورا به، هو حق للأمة، تأخذ بالقوة، وواجب عليها، تأثم جميعا بتركه، وحقيقة لها أثرها العملي في الحكم وسياسة الجماعة.

إذن، فالشورى التي تنتج خيوطها بكثرة العدد، أو عن طريق الإغراء والإرهاب، لا قيمة لها عند الله، والشورى التي تجعل من الفرد المفسد، أو الذي لا يعقل، حاكماً بأمرة في الأمة، لا قيمة لها عند الله، والشورى التي لا يجد المخلصون في جوحها متنفساً يكشفون فيه عن عبث العابثين وفساد المفسدين، لا قيمة لها عند الله، والشورى التي يلبس المنافقون في جوحها مسوح الصدق والإخلاص، ويكتمون عن الحاكم المخلص بذور الشر والفساد، لا قيمة لها عند الله.

كذا تحدث الشيخ شلتوت عن الشورى، ويزيد من عظمة حديثه هذا أنه قد كتبه في مواجهة الاستبداد والمستبدين والنفاق والمنافقين!

 www.ikhwanonline.com/article/237202